والاستبداد الى غير ذلك من الاحوال الملابسة ومقوّمات الوسط والمحيط . فالحكيم المنصف من راعى هذه الاحكام الطبيعيّة في احكامهِ فانصف الناس بمدحهِ واطرائهِ وتعنيفهِ وازرائهِ. ولعمر الحق ما وقع على نفسك من مكارهِ الدنيا اشدُّ من لوم اخيك وهو يجهل حالك ولا ذقتَ كاسًا امرَّ من تقبيح امرك وقد لا يكلف يومًا سوَّالك

رابعًا — ان كان تكامل المحيط موقوفًا بالطبع على تكامل الانضمام في ذراتهِ وعناصرهِ كما تنضم قطرات السحاب قبل الانصباب فلتطب نفوس بني المشرق وليستنشقوا انفاس الرجاء من منافذ اليأس ان فيهم اليوم في اقطار مختلفة فيهِ وبلدان متفرقة منهُ مَن ضمنوا من انفسهم التفاني في اصلاحهِ فوقفوا الارواح والاعمار والاموال على تنويرهِ وصلاحهِ يضيقون الى محيطهِ كل يوم ولو ذرَّة من عناصر التمدن القويم من نشر علم وانهاض همة والهاب لب يسلكون في ذلك مسالك الحكمة والدعة والسكينة والثبات حتى تُمثل حقائق افكارهم كما تُمثل مواد الطعام في الابدان وتسري عناصر الغذاء في خلايا الثبات . لا يعلو صياحهم في المحافل والاسواق ولا يموهون بفضلهم على صفحات الاوراق وينشرون صلاحهم في الآفاق انما هم المربون الالباء والمرشدون الاصحاء والكتبة العقلاء هؤلاء هم الذين بجهادهم واجتهادهم سيبلغ الشرق ما قدر لهُ من النماء. فعلى اساس بنيانهم نشيد اركانهُ وبنبراس هديهم يتعالى شأنهُ في معارج الارتقاء

دمشق

متري قندلفت

رسم الخرائط

نُشر اطلس[1] بالامس في بلاد الانكليز كُتِبَ فيهِ انهُ أُنفق على عملهِ خمس مئة مليون جنيه . اي مضاعف النفقات التي انفقتها انكلترا على حربها مع البوير . ومعلوم ان النفقات التي اقتضاها رسم ذلك الاطلس وطبعهُ لا تساوي عشر معشار هذا المبلغ ولكنهُ لم يرسم الاَّ بعد ان انفقت دول الارض ما لا يحصى من الاموال على تخطيط البلدان وقياسها بالضبط من عهد المصريين والاشوريين والفينيقيين الى الآن فقد اشتغلت كل الدول العظيمة بتخطيط البلدان ورسم الخرائط ولاسيما الدول الاوربيَّة وجمهوريَّة اميركا ولا تزال تشتغل كذلك واشتغل معها السيَّاح وارباب الرحلات من عهد حنو وهيرودوطس الى الآن. والاطالس الصغيرة التي يباع الاطلس منها بضعة غروش لم يتسنَّ رسمها الاَّ بعد ان أُنفق ما لا يحصى من الملايين على تحقيق ما رُسم فيها

(١) الاطلس مجموع الخرائط سمي كذلك نسبة الى اطلس ملك مراكش كما سيجيء

والمال ليس كل ما أُنفق على عمل الخرائط بل لقد ذهبت الوف من النفوس ضحيّة البحث والاستقصاء عن حدود البلدان وحسبنا شاهدًا على ذلك تجشّم الاوربيين والاميركيين المشاق لكي يصلوا الى القطب الشمالي والقطب الجنوبي او يخططوا ما يجدونهُ حولها من الاراضي ولكي يخترقوا مفاوز افريقية واسيا ويعرفوا كل مجاهلهما حتى تتمّ خريطة الارض ولا يبقى منها مكان مجهولاً

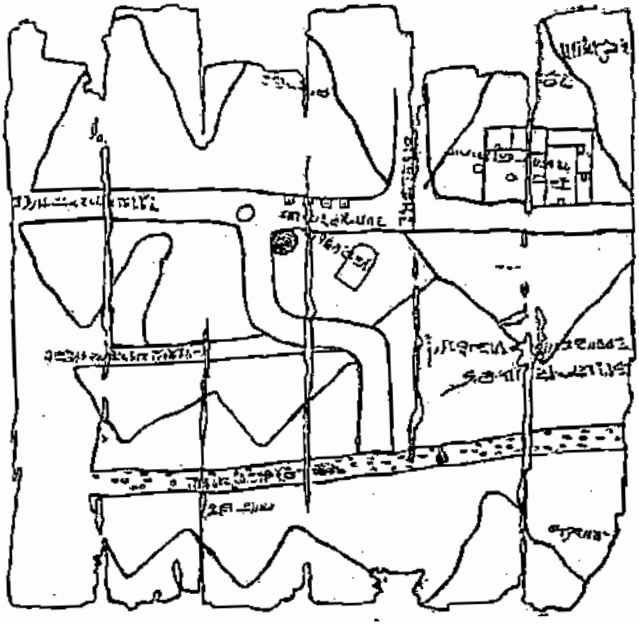

الشكل الاول

والانسان من اول عهدهِ جوّاب آفاق يتجمع المراعي والمناهل وقد اقام المعالم ليهتدي بها في رحلاتهِ. والظاهر انهُ رسم الخرائط منذ عهد قديم جدا لتكون مرشدًا لهُ في المسالك المترامية فقد رأينا صورة خريطة من عهد المصريين القدماء رسموا فيها مناجم الذهب في بلاد النوبة بين النيل والبحر الاحمر والطرق المؤدية اليها وهي المرسومة ههنا وتاريخ رسمها سنة ١٣٧٠ قبل المسيح

وكان المصريون الاقدمون يرسمون طرق البلدان التي يدوخونها وكذلك كان الاشوريون والبابليون يرسمون مسالك البلدان وقد قسمت الدائرة الى ٣٦٠ درجة والدرجة الى ٦٠ دقيقة اقتداء بالبابليين في تقسيمها

واول من حاول رسم خريطة للمسكونة كلها الفيلسوف انكسيمندر اليوناني وكان ذلك سنة ٥٦٠ قبل المسيح فجعل بلاد اليونان مركز المسكونة وسائر البلدان محيطة بها . ثم قام مارين الصوري والف الكتاب الذي اعتمد عليه بطليموس في جغرافيته الشهيرة

وبطليموس هذا واسمهُ كلوديوس بطليموس من يوناني مصر نشأ في الاسكندرية في اواسط القرن الثاني قبل المسيح واطلع على كتب من تقدمهُ واستخلص منها ومن مبتكراته العلمية كتابين كبيرين ارتشد بهما الناس ونسجوا على منوالهما الى ان بزغت شمس العلوم الحديثة منذ

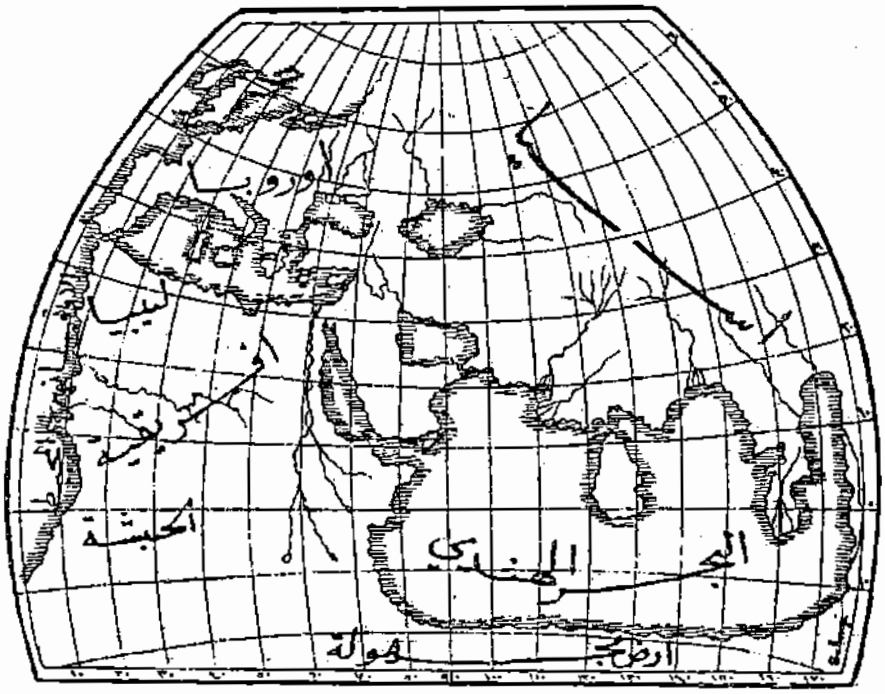

الشكل الثاني

قرنين او ثلاثة وهما كتاب الجغرافية هذا وكتاب المجسطي في الفلك . وكتاب الجغرافية في ثمانية اجزاء ذكر فيها كل الاماكن المعروفة ووصفها وصفاً موجزاً وذكر اطوالها وعروضها وصنع ستاً وعشرين خريطةً للبلدان المختلفة وخريطة واحدة تجمعها كلها وهي المرسومة في الشكل الثاني

واطبق ليل الجهل بعد بطليموس ولكن بقيت كتبهُ تنير حنادس الظلم الى ان قويت شوكة العرب واستعانوا بالسوريين على ترجمة كتب اليونان واهتموا بعلم الجغرافية فنسجوا على

منوال بطليموس واضافوا الى معارف اليونان والرومان ما عرفوهُ برحلاتهم الكثيرة في آسيا وافريقية . وكانوا يقتصرون على رسم المدن والطرق التي يسار بها اليها ثم صاروا يرسمون الخرائط المسهبة . ودعا الملك روجر صاحب صقلية الشريف الادريسي في القرن الثاني عشر للميلاد فالَّف لهُ كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق شرح فيهِ كرة ارضية صنعها من الفضَّة

الشكل الثالث

وصنعت خريطة عن هذه الكرة وهي المرسومة في الشكل الثالث . وبقي ليل الجهل مطبقاً على ربوع اوربا والذين يرسمون الخرائط الارضية فيها يجعلون القدس في مركز المسكونة ويرسمون حولها ما تصوّرهُ لهم المخيلة كبرج بابل وسفينة نوح وامرأة لوط والفرات ودجلة ويصورون سكان افريقية وعيونهم في اكتافهم الى ان كشفت اميركا وزادت الرغبة في الارتحال والاكتساب فصنع مركاتور خريطتهُ المشهورة والاطلس الاول او مجموع الخرائط وقد سماهُ

كذلك نسبة الى اطلس ملك موريتانيا او مراكش الذي قيل انهُ حُكم عليهِ بان يحمل العالم على عاتقهِ لانهُ نظر الى رأس المدوزا اي الغولة التي شعرها افاعي

وصنعت الاطالس في اوربا منذ نحو خمس مئة سنة ولا تزال آخذة في الاتساع والتدقيق وما يصنع منها هذا العام تدعو الحال الى تغيير كثير منهُ بعد اعوام قليلة على حسب ازدياد التحقيق وتغيير الحدود بين الممالك

ان من يملك مئة فدان من الارض في قطع مختلفة يجد اعظم مشقة في تحديدها ورسم تخومها فما قولك في رسم البلدان الواسعة والاقطار الشاسعة التي لا يرى اولها من آخرها وما فيها من شواهق لا ترتقى ومفاوز لا تسلك . لكن ما يعجز عنهُ الواحد لا تعجز عنهُ الممالك الكبيرة واهل العزائم من رجالها فان ممالك اوربا واميركا اناطت اعاظم مهندسيها بتخطيط بلدانها وغيرها من البلدان التي ليس فيها من يخططها وهي ترسل المساحين جماعات واذا ضربوا في عوض البحار اعطتهم السفن والبوارج وزودتهم بكل ما يحتاجون اليهِ من الآلات والادوات وجعلت عملهم من جملة اعمالها الحربيَّة والبحرية تنفق عليها كما تنفق على الجنود والحصون بكرم حاتمي وهم يستعينون بالدقيق من الآلات الهندسيَّة والفلكيَّة على تحقيق الاطوال والعروض وقياس الابعاد والارتفاعات ومتى اتموا عملهم جاء الرسَّامون ورسموا نتيجة ذلك على القرطاس او اصلحوا بها الخرائط التي بين ايديهم. ومتى تمَّ اصلاحها واعيد رسمها واريد ان تطبع بالوان مختلفة يظهر فيها مختلف البلدان رسموا كل جزء منها بلون واحد على حجر من حجارة الطبع الحجري وطبعوا الخريطة الواحدة مرارًا كثيرة حسب الالوان التي فيها. ولا بدَّ من الدقة التامَّة في ذلك كلهِ حتى لا يقع لون في غير موقعهِ ولا ينحرف حد عن وضعهِ ولو شعرةً وقد يكون في بعض الخرائط عشرة الوان فتدعو الحال الى اعادة طبعها عشر مرات متوالية

ولا بدَّ من تجليد الاطالس تجليدًا متينًا وعمل فهرس لها يذكر فيهِ كل ما ذكر فيها من اسماء البلدان والمدن والجبال والبحار والانهار مرتبة على حروف المعجم مع اشارات يستدل بها على موقعها اما بذكر درجات الطول والعرض ودقائقهما او بوضع حروف ترسم على الخريطة طولاً وعرضًا ويحصر بها مكان الاسم بين حرفين منها

وقد اهتمَّ البعض برسم الاطالس في بيروت والاستانة وهذه العاصمة نقلوها عن الخرائط الاوربية وكتبوا اسماءها بحروف عربية وزادت الحكومة المصرية ان اناطت بقسم المساحة في ديوان الاشغال اعادة تخطيط بلادها واضافة البحث الجيولوجي فيها الى القياس الجغرافي فاحسنت صنعًا لان ذلك وامثالهُ من الدعائم التي لا بدَّ منها لكل بلاد تريد ان تجاري غيرها في ميدان الارتقاء